

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

دراسات السلام: النشأة والتطور

Peace Studies: Origins and Evolution

1. نسيم بلهول Belhoul Nacim، 2. عطاء الله فشار Fechar Attallah

1 أستاذ تعليم عالي، جامعة البليدة 2 – علي لونيبي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية -

**Professor in University of Blida 2 - Ali Lounisi, Faculty of Law and Political Science,
Department of Political Science**

na.belhoul@univ-blida2.dz

2 أستاذ تعليم عالي، جامعة زيان عاشور بالجلفة، كلية الحقوق والعلوم السياسية. قسم العلوم السياسية -

**Professor in Zayan Ashour University in Djelfa, Faculty of Law and Political Science. Department of Political
Science**

Attalafechar1966@gmail.com

المؤلف المرسل: نسيم بلهول Belhoul Nacim الإيميل: na.belhoul@univ-blida2.dz

تاريخ القبول : 29-04-2024

تاريخ الاستلام: 21-04-2024

الملخص:

سيتعرف المهتمين بمجال دراسات السلام من خلال هذه الدراسة على البحوث الخاصة بالسلام وأعمال أحد أشهر المساهمين وأكثرهم إنتاجًا في هذا المجال، الأمر يتعلق بـ: "يوهان غالتونغ". الذي استعرض في الكثير من دراساته مسائل تتعلق بتطور دراسات السلام المعاصرة، ناهيك عن الأبحاث المتقدمة في مواضيع السلام والصراع، كما شملت أيضا إعادة تعريفه للعنف والسلام مع التوسع المستمر لنطاق دراسات السلام.

نظرا للتطورات التي عرفتها مجالات البحث المشابهة لهذا النوع من الإهتمامات الأكاديمية، يمكن القول أن الإلتزام المعياري باللاعنف يعد سمة مميزة لدراسات السلام عن باقي المجالات المعرفية الإجتماعية منها. لتختتم الدراسة بعرض وجتي نظر خاصة بدراسات السلام المعاصرة: أولاها، ترتبط بالمخاوف المتعلقة بعواقب اتساع نطاق دراسات السلام. أما الإتجاه الآخر، فيتعلق بقدرة هذا النوع من المجالات والإهتمامات العلمية على معالجة الأشكال المعاصرة للنزاعات المسلحة.

الكلمات المفتاحية: السلام، العنف، الصراع، دراسات السلام، حروب

Abstract:

Through this study, those interested in the field of peace studies will learn about peace research and the work of one of the most famous and prolific contributors to the field: Johan Galtung. In many of his studies, he reviewed issues related to the development of contemporary peace studies, not to mention advanced research on the topics of peace and conflict. It also included his redefinition of violence and peace with the continuous expansion of the scope of peace studies.

Given the developments in research fields similar to this type of academic interest, it can be said that the normative commitment to nonviolence is a distinctive feature of peace studies from other social cognitive fields. The study concludes by presenting two points of view specific to contemporary peace studies: First, it is related to concerns regarding the consequences of the expansion of the scope of peace studies. The other trend relates to the ability of this type of scientific field and interest to address contemporary forms of armed conflict.

Keywords: Peace, violence, conflict, peace studies, wars

Résumé:

Grâce à cette étude, ceux qui s'intéressent au domaine des études sur la paix découvriront la recherche sur la paix et le travail de l'un des contributeurs les plus célèbres et les plus prolifiques dans ce domaine : Johan Galtung. Dans plusieurs de ses études, il a examiné les questions liées au développement des études contemporaines sur la paix, sans parler des recherches avancées sur les thèmes de la paix et des conflits. Il a également inclus sa redéfinition de la violence et de la paix avec l'expansion continue de la portée des études sur la paix. .

Compte tenu des développements dans des domaines de recherche similaires à ce type d'intérêt académique, on peut dire que l'engagement normatif en faveur de la non-violence est une caractéristique distinctive des études sur la paix par rapport aux autres domaines cognitifs sociaux. L'étude se termine en présentant deux points de vue spécifiques aux études contemporaines sur la paix : Premièrement, il est lié aux

préoccupations concernant les conséquences de l'expansion de la portée des études sur la paix. L'autre tendance concerne la capacité et l'intérêt de ce type de domaine scientifique à aborder les formes contemporaines de conflits armés.

Mots-clés: Paix, violence, conflits, études sur la paix, guerres

السلام في خمسينيات القرن المنصرم)، وهو ما يشير بطريقة أو بأخرى إلى وجهة نظر معيارية قائمة على بعد معين. فعلى الرغم من جهود الرواد الأوائل لدراسات السلام في إخفاء ميولاتهم المعيارية وذلك من خلال الإلتزام بالأساليب العلمية الإجتماعية التقليدية، كان ذلك كافياً لأن تصبح محل تشكيك وعدائية من قبل تلك المجالات المشابهة لها. وعلى الرغم من ذلك، فإن التطور الأحدث للمقاربات النقدية ما بعد الوضعية في العلاقات الدولية جعل من تلك النظرة المعيارية العلنية وبشكل خاص غير مميزة لوحدها أو ميزة مثيرة للجدل في الواقع.

كما تميزت دراسات السلام منذ البداية بتعدد الأصول التخصصية لشخصياتها الرئيسية (العلوم الطبيعية، والإقتصاد، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، والتعليم، وعلم الاجتماع). وهو ما وفر موقعاً مهماً للباحثين الذين تم، في الواقع، تدريبهم في البداية وبشكل مهم على القواعد الإنضباطية الواضحة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، للعمل من أجل مساعي تحقيق السلام. فإلى غاية أيامنا هذه، لا تزال دراسات السلام مجالاً متعدد التخصصات. وعلى الرغم من ذلك، أصبحت تلك السمة متناقضة بسبب نمو تخصصات العلوم الإجتماعية بشكل عام، المتعددة المناهج والتوقعات. يمكن القول أن الأصول المتعددة التخصصات لمؤسسي أبحاث السلام ساهمت في إحباط هدفهم الأصلي المتمثل في إنشاء أسلوب مميز ومنهجي ومجال قوي من الناحية النظرية للتحقيق العلمي الاجتماعي. ولم يكن ذلك سهلاً نظراً للإفتراضات المفاهيمية المتباينة على نطاق واسع والإلتزامات المنهجية، والنزاعات القائمة آنذاك حول الأصول النهائية للعنف والحرب (سواء كان مصدرها السياسة الشخصية، أو الشخصية، أو قائمة بين الطوائف، أو الدولية منها كمثال). فضلاً عن تلك الخلافات القائمة حول المضامين الفعلية لشروط السلام.

هل السلام يشير فقط إلى غياب دائم للحرب؟، أو ما يشار إليه في دراسات السلام الآن باسم "السلام السلبي"؟. أو أن السلام يشير إلى أمر أكثر من ذلك، وهو ما تسميه دراسات السلام "بالسلام الإيجابي"؟. وهل بإمكاننا الوصول

مقدمة: ما هي دراسات السلام؟

يعد التقليص من حدة الحروب والقضاء عليها، هذا إلى جانب السيطرة على الصراعات العنيفة وحلها في نهاية المطاف بالوسائل السلمية أحد الإهتمامات المركزية لدراسات السلام. إلا أن هذه الإنشغالات لا تجعل منه حقلاً متميزاً بشكل واضح. علماً أن هذه المخاوف كثيراً ما ارتبطت بتطور نظام العلاقات الدولية (IR). حيث ظهرت وبشكل واقعي مع بروز الإتجاه "المثالي" في العلاقات الدولية، وذلك عقب المذابح التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى. على الرغم من التطلعات الساذجة المفترضة لدارسي وعلماء العلاقات الدولية، خاصة من طرف الليبراليين الأوائل (المثاليين)، إلا أنه تم استبدالهم بواقعية أكثر تشدداً، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، هيمنت على نظام العلاقات الدولية والذي كانت المطالبة بالحرب والسلام أحد إهتماماتها المركزية.

يمكن القول إن التركيز الرئيسي الآخر لدراسات السلام هو بناء أساس علمي أفضل يميزه عن بقية المجالات العلمية الأخرى المشابهة له، وذلك لأسباب مهمة: فهو يسلط الضوء على المحتوى المعياري والملموس لدراسات السلام، والذي غالباً ما يكون مثيراً للجدل. من المؤكد أنه خلال بداياتها الأولى، وعلى الرغم من الجهود والأعمال الكبيرة التي بذلتها شخصيات أكاديمية مفتاحية في العلوم الإجتماعية، كان الإلتزام المعياري بتعزيز السلام هو ما يميز وبشكل أساسي تلك المبادرات، هذا إلى جانب مجالات أخرى على غرار الدراسات الإستراتيجية، حيث ركزت وإلى حد كبير على الحرب وغيرها من أشكال الصراع العنيف التي غالباً ما تكون دائمة ومأساوية، فهي في الأخير سمات تعكس فوضوية نظام دولي قائم على دول ذات سيادة. في الجهة المقابلة، كثيراً ما كانت دراسات السلام تقدم وتعرض لظاهرة الحرب كمشكلة من الأهمية بمكان القضاء عليها، خاصة بالنسبة لأولئك الذين اختاروا تعريف أنفسهم على أنهم يعملون ضمن "أبحاث السلام" أو "السلم" و"أبحاث الصراع" (وهي بعض التسميات المفضلة بالنسبة للشخصيات الرئيسية المؤسسة لدراسات

دراسات السلام والصراع وبشكل خاص، أمرا محبطا ورائعا
وضروريا في نفس الوقت.¹
المحور الأول: نشأة دراسات السلام.

يعد مجال دراسات السلام ابتكارًا حديثًا نسبيًا، غير
أن التفكير في السلام له تاريخ أطول بكثير: فانتشار
الصراعات العنيفة والحروب في تاريخ البشرية ولدت أفكارًا لا
حصر لها حول أسباب الحرب، وإمكانية (أو استحالة) إقامة
"سلام دائم" (وهو في نفس الوقت، عنوان مشهور لمقالة
مؤثرة للفيلسوف إيمانويل كانط). فكل كبار علماء العالم
قدموا التأملات الدينية التقليدية الخاصة بمسائل الحرب
والسلام، وعلى قلتها للحيلولة دون اللجوء إلى الحرب. وذلك،
على غرار باسكال، فيلسوف القرن السابع عشر وعالم
الرياضيات الكاثوليكي، الذي قال عبارته الشهيرة: "الرجال لا
يفعلون الشر أبدًا". إذ يعتبر أنهم يقومون بكل ما من شأنه أن
يرتبط بشكل أو بآخر بالعنف من منطلق قناعة دينية.

إن ما يقدمه الفكر الديني هو أمر هائل وغامض في
نفس الوقت للغاية. ففي الكثير من الأحيان ينطوي على
مجموعة من القيود الأخلاقية المحيطة بالحرب. حيث كانت
للتقاليد والأعراف التي أقامها الإتجاه/ المذهب (النصراني)
المسيحي تأثير خاص في هذا الشأن: فمنذ القرن الرابع
ميلادي عد مصدرًا رئيسيًا لقوانين الحرب المعاصرة، التي
حاولت وضع الحدود الأخلاقية للإتجاه نحو الحرب أو القتال
أثناء الحرب (قانون الحرب). وعلى الرغم من ذلك، وكما يشير
باراش²، فالأمر يعد من التقاليد القوية والمستمرة وبشكل
صريح للنشاطات السلمية المناهضة للحرب داخل
النصرانية، كما هو الحال بالنسبة لمعظم المذاهب
والمعتقدات العالمية القديمة. فعلى الرغم من كون دراسات
السلام لا تتميز بالتركيز وبشكل خاص على الضرورات الدينية
في سعيها لتحقيق السلام، إلا أنه وما لا يدعو مجالًا للشك
أن العديد من مؤسسيها المعاصرين كانوا مدفوعين من طرف
التزامهم الديني وبعض المنظمات الدينية كأحد المصادر
الرئيسية لتمويل نشاطاتهم وأبحاثهم.

علما أن وجهة النظر العلمانية تنحصر في كون
الحرب مثبطة للتقدم البشري وبالتالي هو ما عزز من ظهور
اللاعقلانية على يد فلاسفة التنوير مثل: جان جاك روسو
وإيمانويل كانط. كثيرا ما ناقش هذا الأخير مسائل تتعلق بكون
العدالة الشاملة والسلام الدائم ضرورات مهمة اضطرت

إلى إجماع حول التوقيت الذي يمكننا من خلاله الوصول/
تحقيق "السلام الإيجابي"؟. من الواضح اليوم أن الإهتمام
الفكري أو حتى العملي بمشكلة السلام يتداخل مع
استكشافات لأمر ومساائل أخرى على غرار حل النزاعات
(وذلك على جميع المستويات الاجتماعية)، الإستغلال
العالمي، حقوق الإنسان، العدالة الاجتماعية الدولية، البيئة
الأمنية والأنظمة العالمية البديلة.. وما إلى ذلك. من الواضح
أن هذه المجالات أضحت قضايا محل إهتمام من طرف
مجموعة واسعة من العلماء الذين يعملون في ظل فرق عمل
ذات تخصصات متنوعة. قد يكون من الأفضل الآن فهم
دراسات السلام باعتبارها موقعا أو مساحة فكرية للجمع بين
العلماء الذين، وبشكل عام، أعلنوا وبشكل واضح التزامهم
باللاعنف، أو – حسب ما أشار إليه عنوان كتاب من تأليف
الشخصية الأكثر شهرة في أبحاث السلام "يوهان غالتونغ" –
تحقيق السلام من خلال الوسائل السلمية" (1996م). حيث
يسلط ذلك الإلتزام الضوء أيضًا على الروابط والسوابق
التاريخية، المثيرة للجدل في بعض الأحيان بين دراسات
السلام كمجال أكاديمي ونشاط حركات السلام.

من الأهمية بمكان أن نشير أن دراسات السلام
ومنذ بداياتها الأولى لم تكن تهدف إلى القضاء على جميع
الصراعات. فكما أن العلوم الطبية تعترف، في الواقع،
بالوظائف الأساسية المفيدة لبعض البكتيريا، الأمر نفسه
يقوم به الباحثون في مجال السلام من خلال سعيهم للتعرف
على الوظائف الاجتماعية للصراع. فالعنف بالنسبة لهم هو
المفتاح. وهو ما أشار إليه أحد المحررين لأحد أهم الكتب
الرائدة في دراسات السلام:

"تسعى دراسات السلام والصراع، كلما أمكن ذلك، إلى
تطوير سبل جديدة للتعاون، وكذلك للحد وبشكل كبير من
ظاهرة العنف (وفي نهاية المطاف القضاء عليها)، خاصة
المنظم والمدمر وبشكل متزايد، ناهيك عن العنف الذي
تجيزه الدولة. إن هذا العنف، هو القطب المعاكس للسلام
الذي شوه التاريخ، وهو – خاصة مع ظهور الأسلحة
النووية، الأسلحة البيوكيميائية وغيرها من أسلحة الدمار
العالمي – الآن يهدد مستقبل كل أشكال الحياة على هذا
الكوكب. ومن أهوال العنف، فضلاً عن الأمل المجيد وربما
الواقعي بالسلام (سواء كان سلمي أو إيجابي) ما يجعل من

بريطانيا والدول الإسكندنافية. على جانبي المحيط الأطلسي، تميزت تلك الدراسات في البداية بالتركيز على إمكانية إجراء بحث منهجي ودقيق في مجال السلام، وهو ما أكدته إيمان العلماء آنذاك بالقوة الخلاصية والعالمية للمعرفة العلمية. علما أنه كان التركيز سابقا وبشكل مهم على التحليل المنهجي للحرب، أكثر من أي مسألة تتعلق بموضوع السلام نفسه. ففي إطار العلاقة الصعبة القائمة بين الالتزام بالقواعد العلمية والضوابط المعيارية تم تجسيد الإهتمام بمشكلة الحرب من طرف الأكاديمي البريطاني لويس ريتشاردسون الذي كان إلى جانب العالم الأمريكي كوينسي رايت رائدين في مجال الدراسة الكمية للحرب. حيث اعتبر كلا من كوينكر وعالم الرياضيات ريتشاردسون أن "العلم يجب أن يكون تابعا للأخلاق"، وذلك مع الإصرار على أن العلم نفسه يتطلب بل يقتضي الحياد الأخلاقي، وذلك باسم الموضوعية.⁴

كان رايت متخصصا في القانون الدولي، حيث نشر سنة 1942م الطبعة الأولى من كتابه الضخم "دراسة الحرب"، وهو نتاج مشروع بحثي متعدد التخصصات استغرق مدة 15 عامًا. قام من خلاله رايت بدراسة مسحية للتاريخ وأسباب الحرب، بدءا الصراع البدائي إلى أشكال العنف المتقدمة. لتستمر تلك الدراسة في إطار طبقات لاحقة بعد ظهور الأسلحة النووية. حيث استخدم رايت البيانات الأنثروبولوجية وتقنيات القياس لتوكيد/ تصديق افتراض نهائي بخصوص العلاقة بين العدوان ومستويات الحضارة.⁵

يمكن القول إنه من بين الأعمال الأقل شهرة ما يتعلق منها بعالم النفس الأمريكي ثيو لينتز، الذي تنبأ بشكل واضح بالنموذج التأسيسي لأبحاث السلام المسمى "بالوعي الذاتي". حيث اعتبر أن المنهج العلمي الوضعي سليم ولكنه يخضع إلى الإساءة في الإستعمال/ التوظيف. كان يعتقد أنه من خلال عملية "إرساء الديمقراطية" والتوسع فيها يمكن للعلم أن يتجاوز كلا من التحيز والحوازر الاجتماعية والسياسية. من منطلق القول المأثور بأن "الحرب تُصنع في عقول الرجال"، دافع لينتز عن فكرة إجراء بحث مكثف حول الشخصية الإنسانية والمواقف المتناقضة لها، ما اعتبره هوية جادة بالنسبة لحركات السلام. وأعرب عن "إيمان" متناقض في قدرة العلم على المساعدة في إطلاق ومرافقة الطاقات البشرية حتى تتناغم وتنسجم مع أغراض/ أهداف متنوعة تحقيقا لتحسين السلوكي الشامل.⁶ علما أن

البشرية إلى فرضها وذلك بحكم طبيعتها العقلانية. وبذلك أصبح اسم كانط مرادفا لتقليد التفكير "المثالي" أو "الطوباوي".

يقوم "الإصلاح العالمي" على مفهوم كمال العقل العالمي والإنساني، هذا إلى جانب مضاعفة المساعي الواقعية لتدجين السياسة الدولية، من خلال إضفاء الطابع المؤسسي على التفاعلات القائمة بين الدول وتطور القانون الدولي. وكما ذكر أعلاه، من المعتقد على نطاق واسع أن مثل هذا التفكير أكد الأساس الذي قام عليه النظام الحديث للعلاقات الدولية، هذا بالإضافة إلى الجهود الملموسة وغير الناجحة وإلى حد كبير التي ميزت أوائل القرن العشرين للقضاء على ويلات الحروب على غرار الحلف الفاشل لكيلوغ – برياند (1928م)، الذي سعى إلى حظر الحرب، هذا إلى جانب مساعي عصبة الأمم.

في حين اعترض علماء بارزون مثل إ.ه. كار في بريطانيا وهانز مورغانتو في الولايات المتحدة على ما اعتبروه سذاجة مبكرة ميزت فترة ما بين الحربين، مع تركيزهم وبشكل خاص على الفشل في تحقيق السلام بشكل كاف، في ظل انحيازهم لأهمية دور القوة في السياسة الدولية.

في الكثير من نواحي العرض الواسع لنطاق التفكير في الحرب والسلام والنظام الدولي كان ذلك بطبيعة الحال ضمن ثنائية تبسيطية للواقعية مقابل المثالية، ما أدى إلى تصوير كاريكاتوري للأبطال من كلا جانبي المعادلة التي استمرت إلى وقت قريب نسبيا.³ وهو ما يعني أن المؤسسين الأوائل لأبحاث السلام في خمسينيات القرن المنصرم وكان لزاماً عليهم أن يكافحوا ضد الشكوك واسعة النطاق التي انتشرت في الأوساط الفكرية والسياسية، المبنية على وجهة نظر مفادها أنها تعد أحد أعراض عودة المثالية التي فقدت مصداقيتها في فترة ما بين الحربين، أو أنها لم تكن أكثر من مجرد حركة احتجاجية فكرية ملوثة بعلاقاتها مع تلك الحملة العامة التي نشأت في بعض الدول الغربية المناهضة لانتشار الأسلحة النووية. وذلك من خلال التزامهم الكبير بالإتجاهات السائدة في العلوم الاجتماعية، لا سيما مع ظهور التجريبية الوضعية والأدوات الموضوعية.

المحور الثاني: أبحاث السلام كعلم.

ظهرت أبحاث السلام خلال الخمسينيات في كل من الولايات المتحدة وأوروبا، وفي الحالة الأخيرة وبشكل رئيسي في

غياب ملحوظ من خلال مساعيها لكلمة "السلام". وذلك يعود أساساً لاعتبارات سياسية. فسرعان ما حظيت أبحاث الصراع بالإحترام وبدأت الحدود الشفافة تتسع مع التطورات التي مست بقية التخصصات الأخرى. وعلى الرغم من ذلك، واجهت أبحاث الصراع بعداً سياسياً معارضاً لها بقدر ما كانت منذ بداياتها مصممة على مواجهة المخرجات الراسخة لمعاهد الدراسات الإستراتيجية، ناهيك عن التشاؤم والصمت الأخلاقي الذي كان يميز تصورات التيار الواقعي بخصوص العلاقات الدولية. هذا في حالة ما غذا استثنينا بعض المفارقات التي ميزت يمكن مبادرات/ محاولات بعض الفلاسفة من ذوي التفكير العلمي المجانب للكثير من الشكوك. إلا أن الفلسفة وإلى جانبها النظرية السياسية لا تزال مترددة بخصوص الحاجة إلى توفير وجهة نظر سياسية أو افتراضات فلسفية - يقوم عليها التفكير الأرثوذكسي حول قضايا العلاقات الدولية وتوفير الأمن القومي على وجه الخصوص - مدفوعة أخلاقياً. هذا الغموض يحيط بالتوترات القائمة بين الالتزام الأخلاقي والسياسي تجاه قضية السلام وإجراء البحوث العلمية والاجتماعية والسياسية التي رافقت السنوات الأولى لهذا النوع من الأبحاث (أبحاث السلام) في الولايات المتحدة وأوروبا التي كانت يتواجد في هذه الأخيرة مجتمعاً لأبحاث السلام تحت مسمى أكثر وضوحاً:

أول ظهور لأبحاث السلام كان في النرويج عام 1959م، حيث تم إنشاء المعهد الدولي لأبحاث السلام في أوسلو (PRIO) كجزء - في البداية - من جامعة أوسلو، ليتيم بعد مرور خمس سنوات تأسيس معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري) في السويد. حيث لم تكن مهمة الكرسي الأول في أبحاث السلام والصراع سهلة. حيث أسندت قيادة المعهد وقوته الأكاديمية القوة ليوهان غالتونج، وهو شاب نرويجي تدرّب في الولايات المتحدة الأمريكية، جسد عالم الاجتماع والمستنكف الضميري المستوحى من غاندي، وأحدث توازناً بين التزامات البحوث التطبيقية حول السلام والوضعية المنهجية⁷. متغلباً في ذلك على قدر كبير من المعارضة والإحجام السياسي الرسمي - خاصة ما يتعلق منه بإدراج الكلمة التي تبدو غير علمية "السلام" - لحشد الدعم المالي من الحكومة النرويجية. اعترف غالتونج لاحقاً بأن عباءة العلم أثبتت أنها مفيدة جداً في عملية البحث عن الشرعية، وبالطبع التمويل. في الواقع، كانت كلا من النرويج والسويد

الإيمان بإمكانية طرح وعمل العلم وبقية العلوم الاجتماعية الوضعية من أجل قضية السلام كان موقف الأقلية من العلماء في الخمسينيات. في وقت كانت الأغلبية الكثير يؤمن بأهمية البحث العلمي في صناعة الأسلحة من خلال التكنولوجيا السريعة - والتقدم المنطقي الذي ساهمت كثيراً المنافسات الإستراتيجية للحرب الباردة في تحفيزه. وعلى الرغم من ذلك، فإن اختراع الأسلحة النووية كان بمثابة الحافز لتأسيس كلا من نشرة علماء الذرة - من طرف فيزيائيين سابقين ينتميان لمشروع مانهاتن 1945- ومؤتمرات الباغواش للعلوم وشؤون العالم سنة 1957. كردتي فعل على بيان راسل - أينشتاين عام 1955، - حيث سميت على اسم اثنين من الموقعين الرئيسيين عليها، برتراند راسل وألبرت أينشتاين (الذي وقع عليه قبل وفاته بثمانية أيام فقط). الأمر الذي دعا العلماء إلى تنبيه الجمهور إلى خطر أسلحة الدمار الشامل وعلى ضرورة توجه وسعي زعماء العالم إلى حل سلمي للصراعات.

كانت الكثير، وربما أغلب العلوم الاجتماعية اهتمامها منصباً، في ذلك الوقت، على التصنيف المنهجي والشرح والدعم التقليدي للممارسات والسياسات الاجتماعية والسياسية. وفي هذا السياق كان لتطور ووجود هذا الفرع المعياري في العلوم الاجتماعية أمراً غير محتمل بشكل واضح. فعقب ذلك، تم إنشاء، لا سيما في الولايات المتحدة، "أبحاث الصراع" كوسيلة لذلك التوجه الفكري الذي أدى إلى إنشاء مجلة البحث حول الصراع عام 1957م ومركز أبحاث حل النزاعات في جامعة ميشيغان عام 1959م. هذين التطورين عكسا بعض الشيء المشاعر المعيارية لكل من هكسلي ولينتز. كما ولقد شارك جميع مؤسسي مركز ميشيغان بحماس ومن جميع التخصصات لتطبيق التقنيات العلمية الاجتماعية الجديدة (خاصة من مجالات الاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع) على دراسة الصراعات الاجتماعية الواسعة النطاق. حيث يقع إنتاجهم البحثي في نطاق محدود يصنف ضمن: الدراسات النفسية المهمة بأصول وإدارة والحل الصراع، التحليل النظري للعبة وديناميات الصراع، التحليل الإحصائي لسباقات التسلح وارتباطات الحرب.

على الرغم من أن مجال أبحاث الصراع كان وإلى حد كبير مقدمة لدراسات السلام المعاصرة، إلا أنه كان هنالك

وعلاجات واضحة، بدلا من التوقف بمجرد نطق التشخيص⁸.

تظل مشكلة دراسات السلام المعاصرة هو تمييز نفسه وبشكل واضح عن بقية مجالات البحث العلمي الأخرى، لا سيما العلاقات الدولية والدراسات الأمنية الحساسة، التي شهدت هي أيضاً توسعات كبيرة على نطاق اختصاصاتها، فضلا عن التنوع المنهجي الواسع النطاق. الكثير من العلماء الذين يعملون في مثل هذه المجالات اليوم هم محكوم عليهم بالإنخراط في نفس المقاصد والأغراض والتوجهات المعيارية، هذا إلى جانب الإهتمامات البحثية لأولئك الذين يختارون تحديد موقعهم الأكاديمية وبصفة علانية في دراسات السلام. حيث تلخص اليوم الميزة الأساسية لدراسات السلام في رفضها لأي دور للعنف من أي جهة كانت في سعيها وراء عالم أفضل. كما يقترح غالتونغ صياغة "السلام بالوسائل السلمية" كنقطة انطلاق. وفي حالة ما إذا كان الأمر كذلك، فهذا يشير إلى أن الإلتزام بالسلمية يشكل في نهاية المطاف السمة المميزة اليوم لدراسات السلام. هذا في ظل الخلافات التي ميزت موضوع العنف.

أولاً: المفاهيم الرئيسية

كثيراً ما كانت الأعمال السابقة لغالتونغ انعكاساً لخلفيته كابن طبيب، وذلك من خلال التشبيه الذي أقامه بين أبحاث السلام والطب. بالنسبة لغالتونغ، تم تقديم السلم الدواء كمعيار جذاب وعلماً شاملاً نسبياً ومتعدد التخصصات عند التوجه والتركيز على استعادة الصحة الجسدية. احتراف الطب بشبه الأخلاق التي تجسدت في قسم أبقراط والتي نالت أيضاً إعجابه، حيث كان الإحتراف من خلال "الوقوف على علاقة تعاقدية مع بقية المجتمع". أما في حالة الطب، فإن أخلاقيات المهنة تلزم الطبيب بالمحاولة دائماً إنقاذ الحياة بغض النظر عن كانت حياته موضع شك. على الرغم من علمه بأوجه التشابه بين الصحة الجسدية للأفراد وصحة الإنسان، فإن الجسم السياسي الدولي غير كامل، حيث وصف غالتونغ الطب وأبحاث السلام أن كلاهما مشغولان بمجال ضمان البقاء.

كانت الصورة المبكرة لباحث السلام هو أنه العالم "الموجه" الذي، بالإعتماد على مجموعة من الأدوات المنهجية والتجريبية الموسعة، سيكون من الممكن له المساعدة في وضع أبحاث السلام العملية تحت تصرف تنمية

دولتين ديمقراطيتين اشتراكيتين، حيث بدأت دول الرفاهية في التطور دولياً بشكل واضح. ومما لا شك فيه أن أبعاد سياساتها الخارجية ساعدت أيضاً في تفسير سبب كونها أولى دول العالم المساهمة في تأسيس ودعم مؤسساتها الخاصة بأبحاث السلام. ليتم بعد ذلك تأسيس مجتمع أبحاث السلام الإسكندنافية سنة 1964م، الذي حظي بقدر أكبر من الأهمية. علاوة على ذلك، أسست مجلة أبحاث السلام تحت رئاسة تحرير غالتونغ.

المحور الثالث: من أبحاث السلام إلى دراسات السلام.

كان تأثير غالتونغ على التطور اللاحق لأبحاث السلام في البداية في أوروبا، ليظهر في النهاية ظهر في كل مكان تقريباً. وهو أمر لا يمكن أن يكون مبالغ فيه. كان غالتونغ هو من وضع لهجته العلمية الخاصة بالسلام وساعد على التمييز بينها وبين دراسات الصراع. وقد ساهم وقدم الكثير من خلال معجمه المميز – من خلال مفاهيم السلام الإيجابي والسلبي وكذلك العنف البنيوي والعنف الثقافي – الذي كان يجب أن يتدفق إلى ما هو أبعد من حدوده. توسع نطاق أبحاث السلام تحت رعاية غالتونغ بشكل كبير وسريع. هذا على الرغم من كون العقد الأول من عمله كان، وبشكل عام، مخصصاً أكثر لأبحاث السلام، ناهيك عن الحفاظ على الإلتزام بإملاءات علم الاجتماع الوضعي، ليساعد الأمر/ العمل في وقت لاحق على اتساع نطاق دراسات السلام كما هي عليه اليوم. ربما يعود ذلك لطبيعة المشروع التأسيسي لمجال أبحاث السلام ومنهجيتها البحثية المميزة التي وفقت (آنذاك) – في إطار فشل وجهات النظر السائدة – في توجيه قدرة البحث العلمي الاجتماعي إلى تعزيز دراسات السلام بعيداً عن ميولاتها المعيارية بشكل صريح جداً. وعلى الرغم من ذلك، فإن تلك المجهودات لا تشكل سوى جزء مما أصبح الآن من مجال بحثي خاص بالسلام واسع النطاق، الذي لا يمكن تحديده من خلال منهجية معينة أو توجه معياري فقط. حيث اعتبر غالتونغ أنه:

يجب رؤية السلام والعنف في مجملهما على جميع مستويات الحياة التنظيمية (وليس مقصورة على حياة الإنسان فقط)... علاوة على ذلك، الغرض من كل ممارسة هو تعزيز السلام وليس فقط دراسات السلام، وهو أمر غير إيجابي. إن نظرية المعرفة لا غنى عنها عند إعداد قيم

الإهتمام ينصب حول مجال النظام الاجتماعي العالمي الكائن. بعد أن كان البحث يركز على مسألة "بقاء الإنسان"، وهو المفهوم الذي أضى يستقر عليه باحث السلام وبشكل كبير اليوم. فكيف إذن يمكن أن تفلت أبحاث السلام من التحيزات وغيرها من الإتجاهات الدراسية التقليدية؟. تكمن الإجابة بالنسبة لغالتونغ في ضمان مزيج من التخصصات المتعددة والإستقلال السياسي. ناهيك عن الإلتزام بالركن العلمي المتمثل في الإتفاق الذاتي والإلتزام المهني الشبيه بأبوقراط للنظر إلى ما هو أبعد من التفضيلات الشخصية والتحيزات.

ثانياً: السلام الإيجابي والسلام السلبي

لم يكن لباحث السلام المثالي في نظر غالتونغ أن يفلت من انتقادات مجموعة كبيرة من مناهضي الوضعية نظراً للأسس العلمية التي كانت تقوم عليها. الإنتقادات نفسها كانت تتراكم وعلى نطاق أوسع داخل العلوم الاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك، فإن الأفكار القائلة بأن أبحاث السلام يجب أن يكون تركيزها عالي، اتخذت وجهة نظر اجتماعية واسعة النطاق. ويمكن القول أن التحيزات الاجتماعية والسياسية لا تزال من السمات الرئيسية لدراسات السلام. وتجسيدا لتلك الإلتزامات المبكرة كان لا بد من إعادة تعريف السلام. وهو ما جاء في افتتاحية العدد الأول من مجلة أبحاث السلام، حيث قدم فيها غالتونغ تعريفه الشهير والمزدوج للسلام¹². حيث عرف اعتبر أن للسلام جانبين: سلام سلبي، بمعنى غياب الحرب والعنف الجسدي الفعلي. وسلام إيجابي، تم وصفه في البداية بأنه هو انعكاس عن "تكامل المجتمع البشري". قامت هذه الثنائية التعريفية بتحديد اتجاهين تجريبيين عالميين قوضا صورة النظام العالمي الفوضوي الخاضع دائماً وبشكل مستمر لحالة من الحالات المرتبطة بالحرب: الإتجاه الأول، يتمثل في قدرة "الإنسان على تحديد هويته"، حيث يظهر من خلاله ملكته في إظهار التعاطف والتضامن. وهو موضوع أضى متكرراً كسمة مميزة وليبيرالية في العلاقات الدولية تحت ستار مفهوم الترابط¹³، حيث يرى غالتونغ بأن الأفراد "يعتبرون (أنفسهم) "أعضاء في مجموعات تسري فيها قاعدة المعاملة بالمثل والتعاون كنمط سائد يحكم تفاعلهم... يعتبر التكامل في العالم الحقيقي هو الحقيقة. كان من الواضح أن هناك إنساناً يمكن تحديده وإثبات قدرته على التعرف على الآخرين، وهو أمر له قابلية كبيرة للتعميم. إلا أن غالتونغ تجنب الإشارة إلى الدول مفضلاً التطرق إلى فئات بشرية

النظام الدولي"⁹. في كتاب له صدر عام 1967م، اعترف غالتونغ بأن هذه الرؤية ربما كانت طوباوية، إلا أنه وعلى الرغم من ذلك، توقع أنه ربما خلال خمسة عشر إلى عشرين عاماً سوف تزدهر مؤسسات أبحاث السلام وتصبح "أمراً طبيعياً وواقعياً"¹⁰.

مفهوم يوهان غالتونغ لـ "نقطة الإنطلاق" لدراسات السلام: في البداية، السلام بالوسائل السلمية، حيث هنالك تعريفان متوافقان للسلام:

- هو غياب/ تقليل العنف بجميع أنواعه.

- هو تحويل الصراع اللاعنفي والإبداعي.

ويقابل كلا التعريفين ما يلي:

- العمل من أجل السلام هو العمل على الحد من العنف بالوسائل السلمية.

- دراسات السلام هي دراسة ظروف العمل من أجل السلام¹¹.

من خلال تشبيه غالتونغ السلام بالصحة حاول إضفاء قيمة له تتجاوز الإعتبارات السياسية. في الواقع، كان هذا موضوعاً رئيسياً طوال تصوراته الأولى حيال "علم" السلام الناشئ، محاولة منه إخراجها من التجريد المفرط لعالم الفلسفة أو التحيزات والأحكام المسبقة السياسية، وكذا من السمات المميزة لما أطلق عليه ازدرء اسم "التفكير التقليدي للسلام". في حقل العلاقات الدولية، على سبيل المثال، تم التعامل مع السلام وإلى حد كبير بطريقة غير علمية (قيمة بحثية)، وذلك لأغراض شعائرية وتعبيرية بعيد كل البعد عن كل المقاصد التوضيحية أو تحقيق حالة نهائية محددة بوضوح. علماً أنه كثيراً ما اعتمد غالتونغ وبشكل كبير على الأقوال الأرنؤدوكسية المأثورة – مثل: "إذا كنت تريد السلام، فاستعد للحرب" - التي أضحت حقيقة بديهية. كما اعتبر، حسب رأيه، أن التركيز على الدولة هو أمر مبالغ فيه وغير مبرر، حيث يعتمد ذلك على اختبار غير كافٍ لافتراضات حول أشياء مثل: مركزية "توازن القوى". بالإضافة إلى ذلك، كان "التفكير التقليدي في السلام" مليئاً بالتحيزات، حيث كان في الغالب نتاج الطبقات الاجتماعية العليا في الغرب المتقدم. من ناحية أخرى، من شأن باحث السلام المثالي عند غالتونغ أن يتبنى هذه الفكرة بتركيز عالي شديد وأكثر اجتماعية. وهكذا: فإن "مجال تعريف" باحث السلام هو "الإهتمام بمشاكل العالم من منظور عالمي". حيث أصبح مجال

مفهومه الأصلي للسلام الإيجابي وسرعان ما أصبح متورطاً في انقسام ساخن في أبحاثه حول السلام. إلا أن مناقشاته لمبادئ البحث العلمي ومحاكاته لدور الطبيب، جذب له وبشكل حتمي اهتمام النقاد بأبحاثه حول السلام، ليس من جهة التشكيك في عقيدته العلمية أو طبيعة مجتمع البحث العلمي الاجتماعي الذي كان ينتمي إليه وفقط. ولكن أيضاً من جهة أفكاره المتطرفة، والتي كانت نتاج تلك الإضطرابات الجذرية التي حدثت في أواخر الستينيات من القرن الماضي، والتي مر بها وعلى نطاق واسع المجتمع الغربي. وهو ما أدى في النهاية إلى تقديم غالتونغ لمفهوم آخر لا يزال قائماً، ويعتبر كسمة مميزة لدراسات السلام المعاصرة: "مفهوم العنف البنيوي".

المحور الرابع: العنف الهيكلي.

في سلسلة من المؤتمرات نظمها مجموعة من الشباب الأوروبي عامي 1968م و1969م، شكك باحثو السلام في الاتجاه الواسع الذي كان يسلكه هذا المجال. وهو أمر يعود أصلاً إلى مشاعر القلق التي كانت تنتشر في تلك الفترة وعلى نطاق واسع بشأن حرب فيتنام. حيث حاولوا أن يقدموا أبحاث السلام كعلم يطمح إلى أن يكون فوق السياسة، يسعى إلى أن يكون تحليله للصراعات الفعلية متوازن أو "متماثل". الإنشقاق الحاصل بين المهتمين بمجتمع دراسات السلام يعكس وإلى حد كبير الإنقسام الواقع بين أبحاث السلام والصراع، كما كان يتطور ذلك في كل من الولايات المتحدة والجناب الأوروبي أو "الغالتونغي". حيث انحصر جوهر الخلاف في مسألة ما إذا كان ينبغي إجراء المزيد من أبحاث السلام تتبنى وبشكل علني وجهة نظر أكثر انتقاداً، مع التخلي عن السعي وراء تحليل متماثل وذلك لصالح نهج غير متماثل من شأنه أن يتبنى وبشكل مباشر موقفاً سياسياً صريحاً (تشمل بعض الأمثلة الرئيسية للنقد الراديكالي كلا من شميد 1968م ودينسيك 1970م).

على الرغم من أن غالتونغ كان مهندس النهج الأوروبي لأبحاث السلام المختلفة عن نظيرتها الأمريكية في التأكيد على السلام الإيجابي الذي كان في البداية هدفاً للنقاد. كان، وفي الوقت نفسه، يقوم بمراجعة مفهومه الخاص بالمجال. لقد كانت أغلب الانتقادات من الماركسيين الشباب، حيث كان النقاش محتدماً للغاية مع اختيار العديد من الباحثين الأمريكيين في مجال دراسات السلام الذين رأوا في أبحاث

واسعة ومجموعات أقل صرامة وأكثر مرونة من الكينونات الدولانية. بالتالي، فإن المهمة التي تواجه باحث السلام تتلخص في الكيفية التي من خلالها يتم توسيع المجتمع وتحقيق التناغم بين الإنسان الاجتماعي الفطري والبنية الاجتماعية العالمية.

أما الملاحظة التجريبية الثانية، المألوفة أيضاً بالنسبة لعلماء العلاقات الدولية الليبراليين منهم، هي: أنه مهما كانت العلاقات العدائية بين المجتمعات البشرية، فنادرًا ما يتم اللجوء إلى كل وسائل التدمير التي تمتلكها ضد جميع الأعداء، فثمة "قيود وقواعد"... هذا إلى جانب "ضوابط اللعبة في القتال". بالتالي، هنالك قدرة واضحة على تقييد هذه الحركة/ اللجوء إلى العنف وهو أمر قابل للتمديد. واقترح من أجل ذلك غالتونغ أنه إذا تخيلنا استقراراً لهذين الأمرين يمكن إثبات القدرات البشرية ورؤيتها متمكنة من القضاء على العنف و- إلغاء التمييز بين عوالم الاجتماعي المحلي والدولي والذي ستظهر في الأفق. استقرار القدرة على الحد من اللجوء إلى العنف لن يؤدي إلا إلى حالة من السلام السلبي، في حين أن استقرار القدرة البشرية على التعاون سوف يكفل تحقق شرط السلام الإيجابي. إلا أنه، في الأخير ستنتج مجتمعة "سلاماً عاماً وكاملاً".

إن ما يميز أبحاث السلام يكمن إذن في التزامها بالبحث، هذا بالإضافة إلى تعزيز السلام السلبي والإيجابي. لقد كان غالتونغ يقدم أبحاث السلام كشكل من أشكال علم الاجتماع الوظيفي. حيث ينشأ العنف من العلاقات القائمة بين المجموعات البشرية ناهيك بين النظم الفرعية، غير أن الإنسانية أظهرت أيضاً قدرتها على التعاون والتكامل. وفي ضوء ذلك، لم يُنظر إلى السلام كقيمة السلام مثل غيرها من القيم على غرار الصحة، وكونها بحاجة إلى مناعة. حيث زعم غالتونغ أنه: "إذا كان السلام قيمة، فهو واحد من بين العديد من القيم الأكثر توافقاً". بالتالي، يمكن بالإضافة إلى ذلك يمكن أن تكون عملية تشخيص السلام جد ممكنة بالنسبة للباحث مثله مثل الطبيب، إلا أنه سيكون مخصص للحفاظ وتحسين صحة الجسم السياسي العالمي.

لا يزال مصطلح "السلام الإيجابي" أحد أكثر الموروثات العلمية ديمومة بالنسبة لغالتونغ. ومع تطور مجتمع أبحاث السلام، تعرض تعريف غالتونغ الأساسي الخاص بالسلام المزدوج والنقد التدقيق. لم يكن غالتونغ ليحسد أبداً

السلوك. وهو الأمر الذي كان بارزا وبشكل مهم في الصراعات ودراسات السلام الأمريكية. وعلى الرغم من كون غالتونغ لم يكن ماركسيًا، إلا أنه تقاسم مع المتطرفين وجهة النظر القائلة بأن أبحاث السلام يجب أن تعالج مشكلة السلام ناهيك عن المحددات الهيكلية للصراع.

بدأ غالتونغ تصوره المنقح لأبحاث السلام بنسخة منقحة من فهمه للعنف، مع إبقائه على المبدأ القائل بأن "السلام هو غياب العنف"، حيث ذهب إلى اقتراح ما مفاده أن "العنف موجود عندما يكون الإدراك الجسدي والعقلي والفعلي للإنسان وبقية الكائنات هو أقل من التجليات الواقعية المحتملة"¹⁵. على أن يؤخذ بعين الاعتبار عنصر مهم هو أنه يجب أن تفهم "الإمكانات" على أنها شروط عرضية متصلة بـ: "مستوى محدد من الأفكار والموارد". بالتالي، الفشل في تحقيق الإمكانات يعتبر مؤشرا فقط على العنف في حالة ما إذا كان من الممكن تجنبه عن علم. وهكذا، يجب أن يمتد تركيز أبحاث السلام إلى ما هو أبعد من نطاق التأثير المباشر أو إظهار العنف في أي شيء من شأنه أن يعيق التنمية البشرية الفردية. وبعبارة أخرى، كان على أبحاث السلام أن تبدأ في أول الأمر في تحليل "العنف الهيكلي" الذي يظهر كقوة غير متكافئة. بالتالي، فرص حياة غير متكافئة¹⁶.

كانت إحدى النتائج الواضحة لإعادة تعريف العنف هي الحاجة إلى المراجعة، وكذا تعريف السلام الإيجابي. لقد ساوى غالتونغ بينه وبين "العدالة الاجتماعية". وعلى الرغم من أن هذه الصيغة جعلت، في نظر أبحاث النقاد الماركسيين، غالتونغ أقرب بكثير إلى السلام، إلا أنه اعتبر أن كلا من السياسة الليبراليين والماركسيين أقرزوا أنظمة العنف الهيكلي: الليبراليون من خلال عدم المساواة الاقتصادية. أما الماركسيون فمن خلال التوزيع غير العادل للسلطة السياسية. فرفضه القوي الوقوف إلى جانب الماركسية نابع، في الواقع، من تفاديه التمتع داخل أي من المدارس الرئيسية في الفكر السياسي والاجتماعي. وذلك، على الرغم من كون الكثير من أعماله اللاحقة تناولت وبشكل واضح عدم المساواة العالمية¹⁷ وهو ما ظل سمة مميزة ليس فقط لأعمال غالتونغ بل ودراسات السلام بشكل عام.

المحور الخامس: العنف الثقافي.

بدأ غالتونغ من خلال أعماله اللاحقة في استكشاف فكرة العالم البديل - وهو موضوع ظهر أيضًا مع النقاد

السلام الأوروبية اتجاهًا غير علمي. إن "السلمية" بالنسبة للنقاد الراديكاليين موجودة إلا أنه تم استبدالها بالماركسية، وحل الصراع الطبقي محل الصراعات الكلاسيكية، الثورة محل السلام. وإذا لزم الأمر "ثورة دموية"، وهو تقييم راديكالي استشهد به كلا من غولدمان ودينيسك¹⁴. على الرغم من كون النقاد المتطرفين رأوا في تصور غالتونغ للسلام الإيجابي على أنه وإلى حد كبير تافه، إلا أن غالتونغ تمكن من البقاء نسبيًا بعيدا عن النقاش، حيث نشر سنة 1969م في مجلة أبحاث السلام مقالاً بعنوان "أبحاث العنف والسلام"، اقترح من خلاله إعادة بناء الأساسيات المفاهيمية لأبحاث السلام والتي من شأنها أن تجعلها قريبة جدا وبشكل واضح من الموقف الراديكالي الناشئ حول السلام، مع الحفاظ على الموانع السلمية بشأن العنف.

لم تكن لتتناول مراجعة غالتونغ وبصفة مباشرة مسألة العلاقة بين أبحاث السلام وصنع السياسات - هو محور التركيز الأساسي للنقاد المتطرفين - إلا أنها تناولت وبشكل أكبر موضوع ضرورة تركيز أبحاث السلام على الأصول الاجتماعية للصراع ومعالجة مسألة "غير مرئية" أو "كامنة" في الصراع ادعى من خلالها الراديكاليون أن الصراع نشأ لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية ناهيك عن عدم المساواة. لقد كانت الآثار المترتبة على تنقيحات غالتونغ ذات أهمية كبيرة. وأشارت نتائج دراسته، قبل كل شيء، إلى توسع كبير في نطاق أبحاث السلام، لبدء التحول من بحوث السلام (وذلك من منطلق الشعور بالالتزام بالعلمية شبه الموضوعية) إلى - وبشكل صريح جدا - دراسات السلام المعيارية. ومن هنا فصاعداً، لن تشمل أبحاث السلام مجرد تحليل الصراعات والحروب العنيفة الواضحة والواسعة النطاق، ولكنه سيتوسع إلى ما وراء ذلك ليشمل مظاهر عدم المساواة والظلم، باعتبارهما أرضاً خصبة لمستقبل الصراعات العنيفة.

على الرغم من استمرار غالتونغ في اعتناقه لمصطلح اللاعنف كشرط لا غنى عنه ليس من أجل أي شيء يستحق اسم أبحاث السلام، فإنه اعترف أيضاً أن السلمية لا يمكن لها أن توفر ذريعة للفشل في معالجة قضية الصراع الاجتماعي. وبالمثل، فقد أدرك أن أبحاث السلام لا ينبغي لها أن تراجع وتنحصر في نوع من السلوكية يُنظر من خلالها وإلى حد كبير إلى حل النزاعات: سواء عن طريق تعديل المواقف أو

الثقافي، بالمقارنة مع أشكال العنف الأخرى، العنف هو "ثابت" أو "دائم" ويتدفق مع مرور الوقت بشكل مطرد، حيث يوفر "الركيزة التي يمكن للفتنيتين الأخريين أن تستمدا منها العناصر المحفزة"²⁰. فالثقافة العنيفة "تعظنا، وتعلمنا، وترشدنا، وتحفزنا وتدفعنا إلى رؤية الإستغلال و/أو القمع المتكرر أو الطبيعي، أو عدم رؤية ذلك على الإطلاق". حيث يفترض غالتونغ وجود تدفق سببي من العنف الثقافي عبر العنف البنيوي وصولاً إلى العنف المباشر. في حين يشير أيضا إلى أن العنف يمكن أن ينشأ من أي زاوية من الزوايا الثلاث لموضوع مثلث العنف.

بالطبع، بروح من التركيز التأسيسي على السلبية والسلام الإيجابي، لا تقتصر دراسات السلام على تحليل العنف بل تهتم وبشكل مركز بتحقيق السلام. علما أن "السلام الثقافي" يعد نقيضا للعنف الثقافي بالنسبة لغالتونغ²¹. وهو شرط نتج من خلال "الجوانب الثقافية التي تعمل على تبرير وإضفاء الشرعية على كلا من السلام المباشر والسلام الهيكلي". وعلى الرغم من ذلك، وكما يعترف بالأمر غالتونغ، فإن ذلك يضع أبحاث السلام في مكانة معينة مهمة وكبيرة. بالإضافة إلى مسألة كيفية تحديد هوية الشخص، تحليل وتغيير الثقافات الموجودة أو علم الكونيات الاجتماعية، هناك مسألة كيفية بناء شكل ثقافي سلمي مفضل.

وكما أشرنا إليه سابقا وبصفة مطولة، فلقد تم تمييز أعمال غالتونغ طيلة فترة مهمة من الزمن من خلال انشغاله الإيجابي بالتصنيف وطبيعة تطويرها خاصة ما يتعلق منها بمسائل: (السلام والعنف وأشكال الإستغلال... وما إلى ذلك)، علما أن تحليله للثقافات وعلم الكونيات لا يعد استثناء في هذا الصدد. وهكذا، وكما كان الحال بالنسبة لدراسة هنتنغتون المثيرة للجدل بعنوان "صدام الحضارات"، فإن تصوره لثقافات معينة باعتبارها من منطلق طبيعتها أكثر عنفاً أو مسالمة متجاوزة في ذلك اتهامها من طرف آخرين من خلال تبسيطهم للجوانب المعقدة منها للغاية وتصويرها كاريكاتورياً على أساس أنها تتحكم في المنحى البارومتري للهوية الجماعية. وعلى صعيد إيجابي، إن التحديد العميق للأبعاد الثقافية لإشكاليات العنف والسلام دفعت دراسات السلام للإهتمام المستمر والمفتوح بالحوار بين الثقافات والابستمولوجيات والحضارات. كما لاحظ غالتونغ²² أن "الحوار ليس محايداً، لا هو فوق السياسة أو لا هو تحتها". فالحماس التأسيسي

الإصلاحيين- وذلك من خلال مشاركته في مشروع حول نماذج النظام العالمي، حيث طور غالتونغ اهتمامه بالطبيعة المتعددة الأوجه للعنف من خلال انتقاده لنماذج التنمية الاجتماعية العالمية السائدة. حيث جمع بين نظرية الإحتياجات الإنسانية واهتمامات غاندي، وكذا النمو البيئي. وهو ما أشار إليه في كتابه الموسوم "العوالم الحقيقية" (1980م)، حيث دعا إلى تبني نهج أكثر انفتاحاً مع ضرورة إقامة الروابط بين أبحاث السلام ونشاط السلام والتصورات المتعلقة بدراسات السلام وفق نهج متعدد الأوجه تضطلع من خلاله إلى معالجة الأزمات المتعددة للحدثة العالمية. كما هو الحال بالنسبة لجميع أعماله¹⁸.

كان الموضوع الرئيسي الذي انكب عليه اهتمام غالتونغ منذ تلك اللحظة فصاعداً هو الحاجة إلى دراسات السلام للهروب من قيود التفكير الغربي الحداثي والحلول السياسية والإقتصادية الأرثوذكسية لمختلف الأزمات التي قامت عليها - ظهور العنف بأشكاله العديدة. قدم غالتونغ سنة 1990م مصطلح "العنف الثقافي" في ربط لدراسات السلام بالعنف الثقافي. وهو ما يعد اليوم أحد أصعب مجالات البحث وأكثرها إثارة للجدل، خاصة إذا ما تعلق الأمر بمسألة: سياسة الهوية. فبالنسبة لغالتونغ، يرى الغرب - وقف الغرب كحضارة يتركز على علم الكون الاجتماعي. ويعتبر علم الكونيات بالنسبة للحضارة "البناء النفسي لشخصية للإنسان"¹⁹. أنه نوع من السرديات الكبرى التي تتخلل جميع جوانب الحياة الاجتماعية. وهو ترسيخ نشاز الأصوات معاً مما يؤدي إلى هيمنة صوت واحد/ سرد وحيد للممارسة الفكرية والاجتماعية. وأكثر ما هو مثير للجدل وإلى حد ما بالنسبة لرؤية غالتونغ، هو اعتباره أن الغرب يشمل الإسلام لأنه، كما هو الحال بالنسبة لبقيّة الغربيين الرئيسيين الآخرين، ينظر لأديان الغرب، على أنها تروج لفكرة الناس في فرع من الفروع - هي علاقة تنسيقية مع إله واحد. فغرب غالتونغ إقصائي، هرمي بقوة وتبشيري. وربما ليس من المستغرب أن يتم رؤيته كمصدر فقير للتفكير السلامي. إلا أنه، على أية حال يعتبر الممارس الوحيد للعنف الثقافي.

يتم فهم معنى العنف الثقافي من خلال علاقته بالمجتمع من خلال فتنتين أخريين من العنف. بالتالي، هو يشير إلى "جانب من الجوانب الثقافية، المجال الرمزي لوجودنا... والذي يمكن استخدامه لتبرير شرعية العنف المباشر أو الهيكلي. العنف

أهمية بالغة يتم من خلالها استخدام المقاصد المعرفية بطرق لا تعد ولا تحصى لأجل حل مشكلة العنف والقضاء عليه في نهاية المطاف. فهي تعتمد حالياً على الكثير من المناهج الدراسية في المئات من الجامعات عبر نقاط عديدة من العالم، أغلبها أمريكية. هذا إلى جانب معاهد بحثية عمومية وخاصة مكرسة لتحليل السلام والصراع في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى العشرات من المجالات المتخصصة، بعضها قديم قدم المجال نفسه.

تظل هناك حقيقة مثيرة للقلق وهي أنه إذا كان يجب الحكم على دراسات السلام من خلال الانتشار النسبي للعنف المباشر الذي ميز النصف قرن من عمره، سيكون من الصعب بعد ذلك إعلان نجاحه. وهو لا يعني في نفس الوقت أن على دراسات السلام أن تتخلى عن تقاليدھا المتمثلة في تعدد تخصصاتها تنوعها المعرفي أو علاقتها التاريخية بنشاط السلام. وعلى الرغم من ذلك، فإن تغير طبيعة الحرب وتزايد بروز القضايا الإنسانية المسلحة على غرار التدخل العسكري خاصة في فترة ما بعد الحرب الباردة أفرز مجموعة كبيرة من التحديات الجديدة لدراسات السلام. والأمر الأكثر إثارة للجدل من كل ذلك هو أنها منحت إمكانية كبيرة لدراسة السلام لتقديم بدائل قابلة للإستمرار، أقل عنفاً من الطرائق السائدة حالياً. إن حظر اللجوء إلى العنف باسم السلام قد يكون مبرراً حاسماً. وفي غياب مثل هذا الحظر، فإن الحفاظ على جودة مميزة لدراسات السلام سيصبح، بطبيعة الحال، في حد ذاته تحدياً حقيقياً.

المراجع:

Books :

- 1 David P. Barash and Charles P. Webel, Peace and Conflict Studies, 2nd edition (Sage, 2008),
- 2 Johan Galtung, A Structural Theory of Imperialism, International Peace Research Institute, Oslo, 1971.
- 3 Johan Galtung, Violence, Peace, and Peace Research, Peace Research Institute, Oslo, 1969.
- 4 Johan Galtung, A Structural Theory of Aggression, Peace Research Institute, Oslo, 1964.
- 5 Johan Galtung, Peace by Peaceful Means: Peace, Conflict, Development and Civilisation (SAGE and PRIO, 1996).

لتعريف العنف والسلام فسح المجال أمام إمكانية وجود علم السلام أكثر مرونة وتنوعاً، يغطي عدداً متزايداً من المجالات الفرعية الاجتماعية والبحث السياسي الذي لا يقتصر على منهج معرفي أو مستوى تحليلي واحد.

مستقبل دراسات السلام:

من الواضح أن دراسات السلام لا يمكن اختزالها في أعمال غالتونغ لوحده، ولا ينطبق ذلك على جميع من اتبع طريقه. على الرغم من ذلك، ونظراً لكونه من أكثر العلماء الذين ساهموا في دراسات السلام إنتاجاً وكتابة، فإن هذه الأخيرة أطلعنا على الكثير من التطورات في هذا المجال. يمكن الآن للمرء، في إطار دراسات السلام المعاصرة، أن يجد الكثير من الأعمال التي لا تزال تركز على بعض اهتماماته المبكرة، مثل: الحد من الأسلحة، تحليل أسباب الحروب، ناهيك عن دراسات نقدية للحروب المعاصرة (بما في ذلك ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب" والوساطة في النزاعات وحلها. باختصار السعي وراء السلام السلبي. علماً أن جزء كبير من هذا الناتج يتداخل وبشكل قوي مع نطاق من المجالات المشابهة، وذلك على غرار: الدراسات الأمنية النقدية. لقد أصبحت العلاقة بين العنف والإستغلال والتنمية، منذ القطيعة التي حدثت في الستينيات، شغلاً شاغلاً رئيسياً أنتج اليوم قدراً كبيراً من التداخل بين دراسات السلام ودراسات التنمية. بالإضافة إلى ذلك، هناك حجم كبير من الأعمال في أحد المجالات الأكثر صعوبة وهو بناء السلام الإيجابي، بما في ذلك حقوق الإنسان، الأمن البيئي، العنف وتعليم السلام، ناهيك عن استكشافات مفاهيم متمردة عن التفكير الغربي على غرار: مفاهيم غاندي عن اللاعنّف ومختلف الفروع البوذية كأساس لبناء ثقافة اللاعنّف. وهو ما يعد مجالاً للكتابة في دراسات السلام، يمكن وصفه بأنه فريد من نوعه.

على أية حال، يمكن القول أن دراسات السلام المعاصرة أخذت في التوسع وبشكل إيجابي. إلا أنه لا يمكن القول أنها تمثل وجهة نظر فلسفية أو نظرية مميزة في حد ذاتها. بالتالي، يمكن أن يفهم ذلك على أنه تمرين كبير جداً في تجميع الأفكار والتحليلات والمقترحات والوصفات التي تمتد عبر الحدود بين البحث العلمي الاجتماعي الرسمي، التحقيق المعيارى والنشاط السياسي الذي يرتبط بشكل فضفاض بتوجه معيارى غير دقيق يمكن استخلاصه من عدد من المصادر. كما ويمكن اعتبار دراسات السلام موقعا أو مساحة ذي

8 Johan Galtung, *Peace by Peaceful Means: Peace, Conflict, Development and Civilisation* (SAGE and PRIO, 1996), p. 71

9 Johan Galtung, Galtung, J. *Peace, Research, Education, Action. Vol. 1 of Essay in Peace Research*. Copenhagen: Ejlers. (1975), pp. 170 – 172

10 Ibid, p. 172

11 Johan Galtung, *Peace by Peaceful Means: Peace, Conflict, Development and Civilisation*, Op.cit., p. 9

12 Johan Galtung, *A Structural Theory of Aggression*, Peace Research Institute, Oslo, 1964, pp. 1 – 4

13 Robert O. Keohane, Joseph S. Nye, *Power and Interdependence: World Politics in Transition*, Political Science Quarterly, Vol. 93, No. 1, Oxford University Press, 1978, p. 133

14 Peter Lawler, Op.cit., p. 72

15 Johan Galtung, *Violence, Peace, and Peace Research*, Peace Research Institute, Oslo, 1969, p. 168

16 Ibid, p. 171

17 أنظر في ذلك:

Johan Galtung, *A Structural Theory of Imperialism*, International Peace Research Institute, Oslo, 1971.

18 Peter Lawler, Op.cit., p. 190

19 Johan Galtung, *Peace by Peaceful Means: Peace, Conflict, Development and Civilisation*, , Op.cit., pp. 221 – 222

20 Ibid, p. 210

21 Johan Galtung, *Cultural Violence*, Journal of Peace Research, Vol. 27, No. 3, Sage Publications, Ltd, Aug., 1990, p. 303

22 Johan Galtung, *What If the Devil Were Interested in Peace Research?*, Journal of Peace Research, Volume 25, Issue 1, Sage Publications, Ltd, 1988, p. 78

6 Lentz, Theo. F., *Towards a Science of Peace: Mankind at the Turning Point*. New York: Bookman, 1955.

7 Meister Eckhart: *The Essential Sermons, Commentaries, Treatises and Defense* (Classics of Western Spirituality), Paulist Press; New edition (January 1, 1981).

8 Peter Lawler, *A Question of Values: Johan Galtung's Peace Research* (Lynne Rienner, 1995).

Articles :

1 Andreas Osiander, *Rereading Early Twentieth-Century IR Theory: Idealism Revisited*, International Studies Quarterly, Volume 42, Issue 3, September 1998,

2 Johan Galtung, *What If the Devil Were Interested in Peace Research?*, Journal of Peace Research, Volume 25, Issue 1, Sage Publications, Ltd, 1988.

3 Johan Galtung, *Cultural Violence*, Journal of Peace Research, Vol. 27, No. 3, Sage Publications, Ltd, Aug., 1990.

4 Johan Galtung, Galtung, J. *Peace, Research, Education, Action. Vol. 1 of Essay in Peace Research*. Copenhagen: Ejlers. (1975).

5 Robert O. Keohane, Joseph S. Nye, *Power and Interdependence: World Politics in Transition*, Political Science Quarterly, Vol. 93, No. 1, Oxford University Press, 1978.

الهوامش:

1 David P. Barash and Charles P. Webel, *Peace and Conflict Studies*, 2nd edition (Sage, 2008), p. 22

2 Ibid, p. 202

3 Andreas Osiander, *Rereading Early Twentieth-Century IR Theory: Idealism Revisited*, International Studies Quarterly, Volume 42, Issue 3, September 1998, P. 409

4 Meister Eckhart: *The Essential Sermons, Commentaries, Treatises and Defense* (Classics of Western Spirituality), Paulist Press; New edition (January 1, 1981), p. 66

5 Ibid, p. 89

6 Lentz, Theo. F., *Towards a Science of Peace: Mankind at the Turning Point*. New York: Bookman, 1955, p. 117

7 Peter Lawler, *A Question of Values: Johan Galtung's Peace Research* (Lynne Rienner, 1995), p. 39